بالتكلس والبهرجة الفارغة. ولنقرأ ما يقوله نزار قباني عن فترة الانقطاع هذه وأثرها على القصيدة العربية:

«وبموت العصر العباسي، دخل الشعر في العدمية المطلقة وصارت القصائد موتاً مكتوباً. ولقد استمرّت القصيدة – الموت متمدِّدة على حياتنا خمسة قرون لا يجرؤ أحد على دفنها. وكانت القصائد، في تلك الحقبة، كأضرحة الاولياء لا يسمح لأحد بتدنيس حرماتها والاعتداء على مقدساتها»(١١).

إذاً، في بداية النهضة، كان الجهد منصبّاً على الانبعاث من جديد في ميادين الحياة كافة؛ وفي الميدان الأدبي كان الرواد: البارودي وشوقي ومطران وحافظ جسوراً ربطت الماضي الزاهر بالحاضر الناهض وحملت الشعر القديم إلى الزمن المعاصر. لقد كان صنيع الرواد حفراً في الركام، للوصول الى الينبوع وإعادة المجرى. وهذا بالتحديد ما يجعلنا نفهم احتذاء قصائد تراثية بعينها، كما فعل شوقي عندما نظم على منوال نونية ابن زيدون وبائية ابي تمام. وهذه مطلعها: «السيف اصدق انباء من الكتب» أما بائية شوقي فمنها: «يا خالد الترك جدِّد خالد العرب».

نحن لا ننكر ان النهضة التي تسير على رجلٍ واحدة تظلّ عرجاء غير أن الارتباط بالتراث كان ضرورياً، واحتذاء قصائد القدماء كان مبرّراً تاريخياً وبخاصّة ان المواجهة الحادة مع الغزو الغربيّ الذي عمد إلى تجزئة البلاد العربية وزرع كيان عنصري في قلبها، أعقبت مواجهة محاولات التتريك العثماني. كانت مرحلة نهوض قومي فكان العمل على تأكيد الذات القومية قضية المرحلة. وهذا ما يقوله عبدالرحمن عمار عن تعبير ادب النهضة: «وكان التعبير عن الذات القومية قبل كل شيء هو السلوكية الهامّة التي تميّز بها الأدب العربي في بداية مرحلة النهوض»(١٢).

منذ البدايات: التزام بالقضية: إضافة إلى ما سبق جميعه نذكر أن الشاعر، موضوع الدراسة، التزم، ومنذ بداياته الأولى، قضية وطنه، انه، كالعديد من شعراء وطنه الآخرين، وعى على صليل السيوف وأزيز الرصاص. وكالعديد منهم ناضل ضد القوى التي كانت تعمل لتنفيذ مشروع الامبريالية العالمية في فلسطين والوطن العربي. وهذا يعني ان مسألة التوصيل والتأثير كانت أهم ما يشغله. كان عليه أن ينشىء علاقة حميمة بالمتلقي وأن يكشف له ويحرّضه، وان يتم كل هذا عبر الشكل الفني المفهوم والمقبول لدى المتلقي الذي يتوجه إليه الشاعر. وبديهي القول ان الشاعر الحقّ لا يسعى إلى تحقيق هذا كله على حساب الجانب الفني لشعره. وقد كان أبوسلمى ذلك الشاعر الذي احتفظ بمستواه الفني الراقي في الوقت نفسه الذي تبنى فيه قضية وطن وشعب. وعن هذه الناحية يقول يحيى يخلف: «فهذا المحبّ، العاشق، القسّامي، الكادح، الشاهد كان من اوائل المبدعين الذين تجاوزوا النظم وصنعوا الشعر»(١٣).

لم يكن الكرميّ نظّاماً في حرصه على القديم من الشكل. وإنما هو صنو محمد مهدي الجواهري، الشاعر العراقي الكبير الذي يقول عنه د. ابراهيم السامرّائي: «... إن صاحب